مجلة الحكمة للدراسات الأدبية و اللغوية
Eissn :2600-6421 Issn : 2353-0464
المجلد9/العـــدد: 02 (2021)، ص 21- 54

بلاغة الحوار في القص القرآني – سورة يوسف أنموذجا-

The eloquence of dialogue in the Qur'anic story

الدكتورة خالدي ربحة[1]

[1]جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس- الجزائر.

تاريخ الاستلام: 2021/07/16 تاريخ القبول: 2021/08/01 تاريخ النشر:2021/08/08

الملخص:

تعتبر القصة في القرآن الكريم واحدة من الإعجاز القرآني الذي درس ولازال يدرس لأهميته البالغة في الحياة الأدبية خاصة علم البلاغة الذي يحيلنا إلى مجالات مختلفة تجعلنا نقترب إلى فهم البلاغة القرآنية بطرق متعددة، ومن هذا المنطلق لامست هذه الدراسة قصة سيدنا يوسف عليه السلام لما فيها من مشاهد وعبر وحوارات فيها بلاغة جعلتنا نقترب ولو بقليل بالإعجاز في القص القرآني.

الكلمات المفتاحية: القص القرآني. الحوار. بلاغة. يوسف عليه السلام

Summary:

The story in the Noble Qur'an is one of the Qur'anic miracles that has been studied and is still being studied .Because of its great importance in the literary life, especially the science of rhetoric, which refers us to different fields that make us approach the understanding of Quranic rhetoric in several ways, From this point of view, this study touched on the story of our master Yusuf, peace be upon him, because of the scenes and lessons in it and dialogues in which eloquence made us come closer, even if slightly, to the miraculousness of the Qur'anic storytelling.

key words: Qur'anic storytelling, dialogue ,eloquence Joseph peace be upon him,

المؤلف المرسل: خالدي ربحة

مقدمة:

عندما نذكر بلاغة الحوار في القصص القرآني يروق لنا أن نتحدث عنها بمناسبات مختلفة ، الأدبية و الفنية الجمالية إلى البلاغية، فتتبادر إلى أذهاننا لأول وهلة كلمات مختلفة تكاد لتوهجها أن تكون مترادفات لها معاني مختلفة و متميزة، فهي تعني الكلمة والقصة والأسلوب البليغ، والحسن الإنساني الرفيع وبالتالي الفكر و الإشعاع، وإذا اقتصر مدلول بعض هذه الألفاظ في عصرنا الحاضر فإن لبعضها الآخر جذورا تاريخية عميقة في القصة القرآنية امتدت عبر عصور متتالية، وخصَها التاريخ بصفحات رائعة لا تزال وللأسف الشديد تمثل حلقات مفقودة في تاريخ الأمة الإسلامية والظروف الراهنة التي نحاول فيها إعادة بعث البلاغة القرآنية وتصورها وتفهمها فتفرض علينا أن نهتم بمعرفة القصة القرآنية معرفة أدبية بحتة ،ومن المؤكد أن هذه المعرفة بخصوصية البلاغة والحوار القرآني تزيد باعتزازنا و نفهم الحوار القرآني ومعرفة بلاغته فتكون وقاية لنا من الاستنساخ والعبودية الفكرية والتبعية الحضارية، ولكن البلاغة القرآنية لا تكتب نفسها بنفسها فهي انطواء مكشوف، فلابدَ إذن من إحيائه وإعادة فهمه بطرق نموذجية موجبة لا فرق في هذا بين الماضي القريب و البعيد وذلك قبل أن يفنى حاملوه من رجال الدين والكتب والوثائق، هذا ما تفعله الأمم التي تحرص على دستورها حيا ناطقا بتفاخرها ومآثرها لتبني على أساسه القيم الدينية القيمة وتطور على ضوئها ثقافتها وشخصيتها .

فإشكالية النص القرآني العظيم، تقوم على مفارقة مرتبطة بهوية الكتاب القرآني ذاته ، فهو من جهة نص ناطق بلغة بشرية ، وجار في مقولة إلى السنن العربي، ومن جهة ثانية نص لا يمكن أن يتماهى في مرجعية ذهنية، هل هو كتابة جديدة، تماشيا مع الفهم المستجد للكتابة التي تغاير تحديد الجنس والنوع فتنتفي فيه الأجناس، فلا نثر ولا شعر ولا قصة ...و لكن جنسه أمر آخر لم تهتد إليه الحداثة الإبداعية بعد ؟

وهل يمكن لنا إخضاع النص القرآني للمناهج الحديثة ونرصد ما في قصصه من تقنيات لنقدمها في قالب تنظيري، لتغدو معيارا للعمل الفني الناجح؟.

من هذه الإشكاليات و غيرها شاءت دراستنا أن تلامس الواقعة الإعجازية في القصص القرآني أحسن القصص لأجمل نبي؛ هكذا سماها الله سبحانه و تعالى فقال : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ .

فقد اهتديت إلى هذا الموضوع لأهميته لأنه متعلق بكتاب الله عز وجل ويستعرض أسلوبا من أساليب القرآن الرفيعة ألا وهو أسلوب الحوار المتميز في كتاب الله في عرض الدعوة الإسلامية فقد عرضه بشكل منهجي مباشر وواضح .

فقد درست في هذا المقال عنصرين أساسيين تحدثت في الأول عن الحوار في القصص القرآني ؛ من خصائص القصص القرآني و خصائص الحوار في القص القرآني ، إلى وظيفة الحوار في القصة القرآنية ، أما العنصر الثاني فكانت دراسة تطبيقية من بلاغة الحوار و بلاغة المشهد، كلها مرفوقة بآيات قرآنية كانت شاهدة على الأحداث و الوقائع ، وقد اعتمدت في دراستي على منهجين في البحث وصفي و تحليلي ،واستعنت في هذه الدراسة أولا بكتاب الله و بعض المصادر والمراجع

منها كتاب التصوير الفني لسيد قطب ، إلى غير ذلك من المصادر و المراجع

أولا: خصائص القصص القرآني :

القصة في القرآن الكريم ذات هدف ديني بحت ، " فهي مسوقة للموعظة و التربية و التوجيه ؛ ولكنها مع ذلك تفي بكل مطالب الفن القصصي الخالص ."[2]

فالخصائص الفنية العامة للقصة هي التي تحقق الغرض الديني عن طريق الجمال الفني ، خصائص ميزت قصص القرآن عن سواها إذ إن هذا الجمال يجعل ورودها إلى النفس أيسر ، ووقعها في الوجدان أعمق و على هذا يتناول أربع ظواهر أو خصائص فنية لها مقياس في الدراسة الفنية للقصة . [1]

1- تنوع طريقة العرض :

لقد سيقت قصص القرآن على أربع طرائق مختلفة للابتداء في عرض القصة

و هي على النحو التالي :

أ – الإجمال و التفصيل : و فيه يسبق ملخصا للقصة ، ثم يعرض التفصيلات بعد ذلك من بدايتها إلى نهايتها و ذلك كطريقة قصة أهل الكهف فهي تبدأ بقوله تعالى :﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ .[2] وكانت الآيات الكريمة ملخصا للقصة ، ثم تتبعه تفصيلات

[1]- سيد قطب ،التصوير الفني في القرآن ،ص ص 180 - 181 .

[2]- سورة الكهف ،الآيات من 9 إلى 12 .

تشاورهم قبل دخول الكهف ، و حالتهم بعد دخوله ، و نومهم ، ويقظتهم ، إلى آخر القصة ، و نجد في هذا التلخيص مقدمة للتشويق عن تفاصيل القصة .

ب- المغزى العام للقصة : وهنا تذكر عاقبة القصة و مغزاها ، ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها و تسير بتفصيل خطواتها ،و ذلك مثل قصة موسى في سورة القصص ، فيمضي سبحانه في تفصيل قصته من مولده ، و نشأته ورضاعه ، وكبره و قتله المصري وخروجه فهذه المقدمة التي كشفت الغاية من القصة كانت تمهيدا مشوقا لمعرفة الطريقة التي تتحقق بها هذه الغاية المرسومة منه عز شأنه[3]

و على هذا النحو سيقت سورة يوسف فقد بدأت برؤيا قصها يوسف على أبيه ، فنبئه أبوه بأنه سيكون له شأن عظيم و ذلك لقوله تعالى :﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [4]

وتسير القصة وكأنها تأويل للرؤيا و لما توقعه سيدنا يعقوب من ورائها و تنتهي القصة بتحقيق للرؤيا، قال ابن العباس " رؤيا الأنبياء وحي ، و قد تكلم المفسرون على تعبير هذا المنام ،إن الأحد عشر كوكبا عبارة عن إخوته ، والشمس والقمر عبارة عن أبيه وأمه وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة وقيل ثمانين سنة ،

[3]- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص 181 .

[4]- سورة يوسف ، الآيات من 4 الى 6 .

[5] وذلك حين رفع أبويه على العرش وكانت القصة تأكيدا لتوقعات يعقوب عليه السلام .

ج- المباشرة في القصة :

وهنا تذكر و تسرد القصة بلا مقدمة ولا تلخيص و تتصف بغناها لعنصر المفاجأة و مثل ذلك قصة مريم عند مولد عيسى عليه السلام في قوله :﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾[6]

د- القصة التمثيلية :

ويذكر بعض الألفاظ ما يشير إلى بداية العرض ، ثم يترك القصة تتحدث عن نفسها بواسطة أبطالها و في هذا المقام قوله عز شأنه :﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .[7] و هي إشارة البداية لهذه القصة ، يتبعها دعاء و ابتهال يجري على لسانهما نحو قوله تعالى :﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .[8]

إلى نهاية المشهد وهذا نلحظه في كثير من قصص القرآن فهذه الخصائص التي رأيناها اختصت بتنوع في طريقة العرض ، فكل طريقة تختلف عن الأخرى ، طرائق استعملها القرآن الكريم لأحداث عنصر التشويق ، و الحبكة ،و الحوار ، والهدف .

---

[5]- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار الإمام مالك ، الجزائر ، ط1 ، 2006 ، ج2 ، ص 690 .

[6]- سورة مريم ،الآيتان 16 و17 .

[7]- سورة البقرة ، الآية 127 .

[8]- سورة البقرة ، الآية 127 .

2- تنوع طريقة المفاجأة : ومن الخصائص التي تتنوع فيها طريقة المفاجأة نجد:

أ- سر المفاجأة ؟ : هذه الخاصية فيها يكتم سر المفاجأة عن البطل و عن متابعين هذه القصة و تستمر القصة بغموضها حتى يكشف لهم المعنى في آن واحد ،[9] و مثال ذلك في قصة سيدنا موسى مع العبد الصالح في سورة الكهف ، ونحن نتتبع الأحداث نجد أنفسنا أمام مفاجآت لا نعلم سرَها ، ثم يأخذ السر في التجلي و نلحظ ذلك في قوله علا شأنه :﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ [10] وهذه الحكمة الالهية التي لطالت في الغموض حتى يكشف السر المنتظر في الوقت غير المنتظر مرة واحدة ، وهذا أفق من آفاق التناسق في التصوير الفني للقصة القرآنية .

[9] - سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ،ص185 .

[10] - سورة الكهف ، الآيات من 78 الى 86.

ب- السر المكشوف :

قد يكشف السر للنظارة ، ولا يكشفها لأبطال القصة ، فيسيرون في القصة جاهلون السر ، وهذه الخاصية تكون أغلبها في معرض السخرية ليشترك للنظارة فيها ، منذ اللحظة الأولى و قد شاهدنا مثلا من ذلك في قصة أصحاب الجنة . [11] وهذا لون من التناسق الفني كذلك يضاف إلى الخصائص المذكورة سابقا .

ج- الكشف عن بعض السر :

أما بعضه فيكشف للنظارة في القصة الواحدة ، و البعض الآخر يظل غامضا إلى أن يستثار إليه للنظارة و البطل معا ، كما جاء في قصة عرش بلقيس الذي جيء به في غموضه و عرفنا انه بين يدي سليمان ،في حين أن بلقيس ظلت تجهل ما نعلم ،فلما جاءت قيل أهذا عرشك ؟ قالت : كأنه هو ! [12] فهذه مفاجأة عرفنا سرها سلفا ، ولكن المفاجأة الأخرى بقيت خافية علينا و عليها حتى استبانت لنا و لها مرة واحدة .

د- مواجهة المفاجأة :

هذه الخاصية لا تحمل سرا في القصة ، و إنما تواجه المفاجأة للبطل و للنظارة في آن واحد ، و يعلمان سرها في الوقت ذاته ، فمفاجئات قصة مريم عليها السلام ؛ حين تتخذ من دون أهلها حجابا ، فتفاجأ هناك بالروح الأمين في هيئة رجل ، و قد فوجئنا معها إذا جاءها المخاض إلى جذع النخلة وفي ذلك قوله تعالى:

[11] - سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ،ص186.

[12] - سيد قطب ، في ظلال القرآن ،مج5 ، ص1224.

﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ .[13]

3 – خاصية الفجوات أو الفراغات :

و تكون الفجوات بين المشهد و المشهد التي يتركها تقسيم المشاهد و قص المناظر ، مما يؤدي في المسرح إلى إنزال الستار ، وفي السينما الحديثة إلى انتقال الحلقة إلى ما بعدها ، بحيث تترك بين كل مشهدين أو حلقتين فجوة يملؤها الخيال الذي يصل بين المشهد السابق و المشهد اللاحق .[14] و نمثل لهذه الخاصية ما جاء في قصة سيدنا يوسف عليه السلام ، حيث قسَمت إلى ثمانية و عشرين مشهدا و من هذه المشاهد :عندما قدم إخوة يوسف و هو على خزائن الأرض في سنوات الجدب يطلبون القمح ، فطلب منهم أن يحضروا أخاهم الآخر – شقيقه – فأحضروه على كره من أبيهم ، ثم وضع سواع الملك في رحله و أخذه رهينة ، باسم انه سارق ليبقيه يوسف عليه السلام عنده ! ثم هاهم أولاء إخوته ينتحون جانبا ليتشاوروا في أمرهم ، و قد أبى عليهم يوسف عليه السلام أن يأخذ احدهم مكانه وذلك نحو قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [15]

وهنا يتوقف المشهد ، لنلتقي بهم في مشهد آخر لا في مصر ولا في الطريق ولكن عند أبيهم ، وقد قالوا لهم ما وصاهم به أخوهم دون أن نسمع ما قالوه ،ثم

---

[13] - سورة مريم ، الآية 23 .

[14] - سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ،ص ص187-188.

[15] - سورة يوسف ، الآية 80 .

يأتي مشهد آخر حين يقول تعالى على لسان أبوهم :﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾.[16] و تتوالى المشاهد و الفجوات إلى آخر القصة و مثلها تسير قصص أهل الكهف ومريم و سليمان على النسق نفسه .

4- التصوير الفني :

خاصية التصوير الفني من أبرز الخصائص الفنية في القصة القرآنية و كما قال سيد قطب "إن التعبير الفني القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد و المناظر التي يعرضها ، فتستحيل القصة حادثا يقع و مشهدا يجري ، لا قصة تروى ولا حادثا مضى ." [17] والتصوير هنا يظهر من خلال العرض والإحياء و إبراز العواطف ، والانفعالات والمواقف، ويمكننا أن نميز بين شكلين للبنية القصصية كما صاغها الخطاب القرآني.[18]

*** القصة المغلقة : ويمكن تسميتها المكتملة و يقصد بها القصة التي استقلَ بها موطن قرآني واحد في سورة قرآ نية فريدة مثل قصة سيدنا يوسف عليه السلام وقصة أصحاب الكهف .

*** القصة المفتوحة : و يقصد بها ذلك السياق السردي المتعلق بسيرة نبي أو رسول والمتواتر في أكثر من سورة ، وسردية تتجدد من سياق لآخر سواء على مستوى الشكل أو الدلالة.

---

[16] - سورة يوسف ، الآية 83 .

[17] - سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ،ص190.

[18] - سليمان عشراتي ، الخطاب القرآني ،ديوا ن المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د.ط، 1998 ،ص69 .

فالقص القرآني يحفل بهذا النوع من التصوير المتجدد أمدنا بنماذج إنسانية تتجاوز حدود الشخصية المعنية إلى الشخصية النموذجية الشاملة و تبقى القصة القرآنية مثلا للجمال و السحر من خلال خصائصها الفنية ولا يمكن أن تتحقق إلا في مثل هذه القصص الهادفة إلى الخير والجمال .

ثانيا : خصائص الحوار في القصص القرآني .

لقد سلك الخطاب القرآني القصصي في توصيل رسالته ، بالمنحى الفني و التصويري و في رأي سيد قطب " التصوير هو الأداة المفضلة في الأسلوب القرآني " [19] و هذه الأداة الفنية قد ترجمت الخطاب القرآني في شتى مقاصده الذهنية ، والحسية الإنسانية ، و الطبيعية الشاخصة ، وعن النموذج الإنساني و هذه الأخيرة في مقدمة خصائص الحوار في القصص القرآني .

1- الشخصية المحاورة :

يقوم الحوار أساسا بمراجعة الكلام بين شخصين اثنين أو أكثر لينتهي إلى نتيجة حاسمة ، و أن يحقق شرطا أساسيا أن يملك كل من الطرفين حرية الحركة ، و" لكل بطل من أبطالها دوره الأساسي الذي يعبر عنه بأسلوب واضح ، و يثير فيها بعض القضايا التي يقف إزاءها البطل الآخر ليعبر عن دوره بكل أمانة ووضوح . " [20]

ويقصد أن كل طرف من أطراف الحوار يحاول أن يثير الجوانب التي يؤمن بها و يدافع عنها ، و الرسول صلى الله عليه و سلَم حاول من خلال تعاليم الله في القرآن الكريم أن يوفر ذلك الشرط للآخرين الذين أدار الحوار معهم ، و إن دوره

---

[19] - سليمان عشراتي : الخطاب القرآني ، ص54 .

[20] - محمد حسين فضل الله ، الحوار في القرآن الكريم ، ج121 ،ص18 .

هو ما يريد أن يبلغه للناس بكل وسيلة مقنعة و ذلك نحو قوله تعالى :﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [21] ومن خلال الحوار الذي أداره في تبليغ رسالته فقد يستجيبوا و يقتنعوا بما دعاهم إليه ، ومن هنا يحصل على غايته في تبليغ رسالته .

2- شخصية الطرف الآخر من الحوار:

لابدَ لمن يدخل في عملية الحوار من الاقتناع للطرف الآخر و نتائجه الحاسمة التي يقود إليها الحوار ، وقد يتحول الموقف و الحوار إلى جدل عقيم وركز القرآن الكريم على هذا الجانب و استعمالها في عدة مقامات بصيغ متنوعة مواجها " أولئك الذين لم يقتنعوا بوحدانيته ، و تكذيب النبوة ، و رفض الشريعة مع وجود الأدلة القاطعة و توفر الآيات الواضحة " [22] ، و ذلك نحو قوله تعالى :﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ﴾ [23] فالطعن في القرآن الكريم ، وما احتوى من آيات الله البيَنات و الجحود بها لا يمكن أن يحصل إلا من الكفار الذين رفضوا الدعوة و ما جاءت به .

وقد صوَر لنا الله تعالى صفة مذمومة هي صفة التكبَر التي تحول المرء لأكثر من سبب ، من كائن خلق ضعيفا إلى كائن مغتر كما جاء في الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ

[21] - سورة الكهف ، الآية 110 .

[22] - محمد التو مي ،الجدل في القرآن الكريم - فعاليته في بناء العقلية الإسلامية ،شركة الشهاب ، الجزائر، د.ط، د.ت، ص15 .

[23] - سورة غافر، الآية 4 .

فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.﴾ [24] و هي الصورة التي رسما الله تعالى على المكابرين ؛ و في المقابل تظهر الصورة المشرقة للنموذج الإنساني الحي في القرآن الكريم و هي صورة النبي إبراهيم عليه السلام الذي يصور فيها أساليب متنوعة من الحوار و ذلك في حواره مع نفسه و الذاتي أمام دعوة الحق و الباطل و الذي يبتعد عن أسلوب الوعظ الذي يخاطب الآخرين إلى أسلوب المناجاة الذي يخاطب الإنسان فيه نفسه من خلال تفكير هادئ و موقف يقين لقوله علا شأنه ﴿كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ فَلَمَا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ [25] فهو يرى أنَ صفة الألوهية فيها القوة التي يعترضها الضعف و ما يكاد يصل إلى هذا اليقين ، حتى يحاول في برَ وودَ أن يهدي إليه أباه ، في أحب لفظ و أحياه في رسالته الرائعة ؛فهو يؤمن بقدرة الله المطلقة إيمانا ينبع من التفكير و الملاحظة إيمان يربط العقل و القلب بالنظر و الفكر.

3- خلق الأجواء الهادئة لتفكير المستقل :

إن الأجواء الهادئة من الأمور الضرورية للوصول إلى مغزى حواري هادف من خلال التفكير الذاتي و لذلك يجب الابتعاد عن الأجواء الانفعالية التي تبعد الإنسان عن الوقوف مع نفسه في تأمل و تفكير و هذه الأجواء الانفعالية تقود الإنسان إلى الاستسلام لا شعوريا .

[24] - سورة غافر ، الآية 56 .

[25] - سورة الأنعام ، الآيات من 75 الى77 .

و قد صوَر لنا القرآن الكريم ذلك فيما نقله عن أسلوب النبي صلى الله عليه و سلم في حواره مع خصومه عندما واجهوه بتهمة الجنون فقد دعانا إلى أن نبتعد عن الجو الانفعالي إذا أردنا أن نتبنى فكرة أو نرفضها و ذلك نحو قوله تعالى :﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [26] وعلى ضوء هذه الآية الكريمة اعتبر القرآن ، موضع الاتهام للنبي بالجنون خاضعا للجو الانفعالي الذي كان يسيطر على التجمع العدائي لخصومه ، " فالدعوة الإسلامية بحكم تميزها بالأحكام المطلقة قد سلكت من الطرف أحكمها ومن الوسائل أقومها وذلك للدعوة بالحكمة و الموعظة الحسنة والجدل بالَتي هي أحسن، دعوة إلى الحق والخير والعدل . " [27]

ويظهر ذلك من خلال قوله عزَ شأنه :﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [28] فواضح ممَا قيل أن الجدال بالتي هي أحسن يستلزم آدابا عالية فطرح الموضوع و النظر إليه بفحص ،و تأمل ،و مخاطبة صاحبه برفق ،و هدوء والتدرج به إلى إدراك ما فيه من سلبيات وايجابيات .

4- معرفة موضوع الحوار:

على كل طرف من أطراف الحوار معرفة موضوع الحوار و محاولة تبسيطه من جميع مجالاته ؛ فلا يترك أي جانب خفي ،لان كل طرف من أطراف الحوار يحاول أن يثير الجوانب التي يؤمن بها و يدافع عنها، فقد بدأ نوح عليه

---

[26] - سورة سبأ ، الآية 46 .

[27] - محمد التو مي ، الجدل في القرآن الكريم - فعاليته في بناء العقلية الإسلامية ، ص27 .

[28] - سورة النحل ، الآية 125 .

السلام " الحوار من المنطلق الذي انطلقوا فيه و الأفكار التي أثاروها ، لتصحيح المفهوم الخاطئ الذي حال بينهم و بين الانفتاح على قضايا الرسالة و مفاهيمها في الحياة ." [29] ونمثل بقوله تعالى :﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾[30] ويفهم من هذا كلّه دخل هؤلاء الذين يخاصمون الرسالات بمعركة الحوار، دون سلاح لأنّهم لا يملكون علما أو حجة بالموضوع الذي يتحاورون أو يريدون التحاور فيه .

5- أسلوب الحوار:

لقد أورد لنا القرآن الكريم طريقتين للحوار الفكري أو الصراع فهناك طريقة العنف التي تعتمد مواجهة الخصم بأشد الكلمات و أقساها أسلوبا؛ ذلك لأنهم لا يملكون الكلمة القوية التي تنطلق من موقع الإيمان الواعي المنفتح ؛ ولا الحجة البالغة التي يواجهون بها حجتهم . [31]

و في هذه الحالة لم يبق إلا كلمات العناد و التحدي و نفاذ الصبر. و أما طريقة اللاعنف أو السلمية التي تعتمد على اللّين و المحبة يتبعها إقناع الآخرين من خلال العاطفة و الوسائل المنفتحة للوصول إلى هدف و هذه الخاصية تظهر لنا "الفرق بين أسلوب الأنبياء في الدعوة وأسلوب الكفار في الردّ عليهم ومواجهتهم بالكفر والعدائية ." [32]

---

[29] - محمد حسين فضل الله ، الحوار في القرآن الكريم ،ج121 ، ص23 .

[30] - سورة هود ، الآية 28 .

[31] - ينظر: محمد حسين فضل الله ، الحوار في القرآن الكريم ،ج121 ، ص25 .

[32] - المرجع نفسه ، ج121، ص26 .

يظهر ذلك من خلال قصص الأنبياء وما يتوفرون عليه من الروح القوية الهادئة الواثقة التي تقابل التحدَي بالروح التي لا تردَ بالحقد ، بل تردَه بالحجة القوية في إطار المحبة و الحنان ؛ فالجدال بالتي هي أحسن و الكلمة الطيبة ، وإبانة الحق بالهدوء و الحجة الظاهرة من أقوى أساليب الدعوة الإسلامية و من ذلك قوله تعالى :﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [33] وهي دعوة إلى حوار مباشر بأسلوب صريح فيه حكمة و موعظة حسنة و رفق دون عنف ولا تظلَم .

ثالثا : وظيفة الحوار في القصص القرآني .

إن التنوع في استعمالات الصيغ الحوارية التي تثري البنية السردية جاء موظفا في النَص القرآني بصورة جمالية بارعة ،هذه الحوارات التي صنعت المشاهد السردية في القصة . وقد تعدَدت بواسطته المشاهد و تنوعت مظاهرها النصية ؛ الأمر الذي أدى إلى إثراء السرد في القصة " فالمشهد هو الحركة السردية التي يتساوى فيها زمن القص و ديمومة الحكي ، حيث يتوقف السَارد عن الحكي و يترك الأحداث تنمو من خلال الحوار القائم بين الشخصيات ." [34] ويظهر لنا تتابع الأحداث في القصة وفق نظام حواري محكم ووفق مشاهد متعاقبة يتلو بعضها بعضا ، قصص تتَصف من بدايتها إلى نهايتها بالحوار.

ولما يتميز به من إبعاد لملل و الدفع إلى التشويق ، فكرة أكدها سليمان عشراتي حين قال " منها ما هو بنائي يضيء الحدث و يوصله مساره القصصي ، و

---

[33]. سورة النحل ، الآية 125 .

[34]. أسامة عبد العزيز ، الجنى الداني من جماليات النص القرآني ، عالم الكتب الحديث ،اربدا- الأردن ،ط1 ، 2013 ، ص92 .

يحشد فعالية السرد ؛لاختراق وقائع جديدة ." [35] ولا نستطيع ان نحدد وظيفة الحوار من دون حضور الأطراف التي تتحقق من خلالها العملية الحوارية التي تثري الفاعلية السردية .

والوظائف تتشكل من خلال ثنائيات هامة وهي :

1- المخاطب و المخاطب : فقد يكون المخاطب هو الأنا ذاته ونعني بذلك " الذاتية التي تسمح للشخصية أن تفرض نفسها منتجة لكلام يميزها عن غيرها يكون بمثابة الهوية الخاصة بها ." [36] ومن ذلك قوله تعالى : ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [37] فجاءت على لسان سيدنا يوسف عليه السلام أن في الحالتين هو شخص واحد.

2- المخاطب المخاطبين اثنين : وذلك نحو قوله تعالى ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [38]

وهنا نجد الحوار بين مخاطب يحوَر شخصين في آن واحد.

3 - المخاطب والمخاطبين جماعة : ومن ذلك قوله عز وجل﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾. [39]

---

[35] - سليمان عشراتي ، الخطاب القرآني – مقاربة توصيفيه لجمالية السرد الاعجازي ، ص186 .

[36] - أسامة عبد العزيز ، الجنى الداني من جماليات النص القرآني ، ص92 .

[37] - سورة يوسف ، الآية 101 .

[38] - سورة طه ، الآية 43 .

[39] - سورة الأعراف ، الآية 48 .

فالحوار لا يشترط أن يكون بين شخصين فقط ، بل من الممكن أن يكون بين اثنين أو بين جماعة إلى غير ذلك من أطراف الحوار ،كحوار فتية أهل الكهف حين استيقاظهم ، بعد مضي زمن طويل، وهناك حوارات استثنائية كحوار الرسل والأنبياء مع الجن والطير والهدهد مثل ما دار من حوار بين سيدنا سليمان والهدهد، كما ينحو الخطاب القرآني منحى آخر ليكون سرديا إخباريا فيأتي الحوار قطعة مندمجة في السرد القصصي، ومتوازنة مع النص القرآني السردي بلا تنافر " هذا الخطاب الذي سرعان ما يسترجع حواريته، كشفا للموقف أو تنويرا له من الداخل، بإيراد تصريحات الفاعلين وقد يسفر السياق الحواري عن بناء فكرة لها لمحة منطقية مؤثرة." [40] من ذلك موقف تحاور موسى مع فرعون في سورة الشعراء، ويتضح لنا مما أنف ذكره إن الحوار هو البحث عن الأفضل والأجمل، و الأحسن، من حيث الكلمة، والحركة، والجو العام .

ثانيا: دراسة تطبيقية في سورة يوسف عليه السلام .

2-1 بلاغة الحوار: تميزت قصة سيدنا يوسف عليه السلام بالمواقف الصعبة التي مرَ بها في بدايات حياته ، و هي تتنوع في صور مثيرة رائعة، ومن مواقف الحوار القصيرة التي وجدت في القصة لنرى كيف تجسدت هذه الحوارات داخل المشاهد و الصور الحية لتحقيق غرض ديني ؛ تربوي و إصلاحي ،هذه السورة التي سماها الله بأحسن القصص لما فيها من العبر و الفوائد التي تصلح للدين و الدنيا قال تعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ .[41]

[40] - سليمان عشراتي ، الخطاب القرآني – مقاربة توصيفيه لجمالية السرد الاعجازي ، 188 .

[41] - سورة يوسف ، الآية 3 .

1. يوسف عليه السلام و الرؤيا :

إن المدخل القصصي كان حواريا ، رغم أنه كان هناك تزاوج السردية و الحوار في تشكيل البناء القصصي ، وذلك عندما بدأ يوسف عليه السلام بقص رأياه على والده ؛ فقد رأى في منامه أحد عشر كوكبا و الشمس و القمر له ساجدين ومن ذلك يقول عز وجل :﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [42] ،قال ابن العباس : رؤيا الأنبياء وحي، وقد تكلم المفسرون عن تعبير هذا المنام : إن الأحد عشر كوكبا عبارة عن إخوته، والشمس والقمر عبارة عن أبيه وأمه .[43]

وهي متمثلة بأعمال الناس العقلاء و هم يحنون رؤوسهم إليه تعظيما بالسجود فيدرك يعقوب عليه السلام بنور البصيرة وسعة الحكمة أن هذه الرؤيا تشير إلى ما ينتظر ابنه يوسف عليه السلام من مركز عالي ، و شأن عظيم في حياته فهي بشرى عظيمة ، ولهذا ينصحه بأن لا يقص رأياه على إخوته فيغارون منه ويكيدون له .

يقول الله تعالى : ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [44] إن الله تعالى يخبرنا عن قول يعقوب لابنه يوسف حين قصَ عليه ما رأى من هذه الرؤيا التي تظهر الشأن العظيم الذي سيأتي ليوسف فيسجدوا له إجلالا واحتراما و تعظيما؛ لذلك خشي عليه يعقوب عليه السلام أن يحدَث بهذا المنام أحد من إخوته فيحسدونه على ذلك و

[42] - سورة يوسف ، الآية 4.

[43] - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج2 ، ص 690 .

[44] - سورة يوسف ، الآية 5.

لهذا قال تعالى على لسان سيدنا يعقوب :﴿ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾؛ أي يحتالون لك حيلة يردونك فيها، ولهذا ثبت في السنة عن رسول الله صلى الله عليه و سلَم أنه قال : " الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت " [45] ؛ ومن هذا يؤخذ الأمر بكتمان النعمة حتى توجد و تظهر، فالله تعالى قد قدَر أنه يختار يوسف من أبناء يعقوب عليه السلام ليكون المجتبي لإتمام النعمة عليه و تعليمه تأويل الأحاديث في صفاء الفهم والبصيرة، وشفافية الحس والبديهة ،وكل ذلك الهام من الله عزوجل وتلك إحدى معجزاته .

2- حوار إخوة يوسف عليه السلام :

ثم يأتي ذلك التلميح إلى أهمية القصة و التعريف بأشخاصها و عقدتها بإيجاز و وضوح عندما قال عزَ شانه : ﴿قَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ .[46] وهذه الآيات تبين لنا جزءا من الحوار بين الإخوة و تآمرهم حول المكيدة التي يريدون تدبيرها ليوسف عليه السلام للتخلص منه حتى يخلوا لهم وجه أبيهم ؛ " فالحيثية المكانية و الزمانية التي يقوم عليها الحوار، تجعلنا نراها في يوم رعيهم بعيدا عن الديار ، يتبادلون فيها مشاعرهم، فتتقارب المواقف وتتحد الغايات ." [47] حيث يتشاورون في المكان والزمان المناسبين بل هي أحاديث تعددت بها الأيام واللَيالي فتراجع القرار فيها من القتل إلى الطرح أرضا، إلى الإلقاء في

[45]- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ،ج2،ص690.

[46]- سورة يوسف ، الآيات 7،8،9 .

[47]- حبيب مونسي ، المشهد السردي في القرآن الكريم – قراءة في قصة سيدنا يوسف -،مكتبة الطباعة و النشر ، الجزائر ،ط1 ،2009 ،ص28.

الجب، فلقد اجتمع الإخوة " على أمر عظيم من قطيعة الرحم وعقوق الوالد و قلَة الرأفة بالصغير الضَرع الذي لا ذنب له، وبالكبير الفاني الذي له الحق والحرمة والفضل " [48]،في حين أن حامل القضية الخيرة، سواء كان يعقوب أم يوسف غير قادر على شيء، فيعقوب كبير السن ، رقيق العظم ، أما يوسف فطفل صغيرغري، قليل البأس هين الشكيمة، وهي معاني جسَدها الحوار في بداية أحداث القصة.

3- حوار إخوة يوسف عليه السلام مع أبيهم :

يقول تعالى :﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.[49] إنهم يجلسون حول أبيهم ؛ يستدرجونه في مجال حواري ليسلم إليهم يوسف عليه السلام ؛أي ابعثه معنا يسعى و ينشط ،و نحن نحفظه و نحوطه من أجلك ، و يردَ الأب عليهم ، يقول تعالى :﴿ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾. [50] يقول تعالى مخبرا عن نبيه يعقوب أنه قال لبنيه في جوابه لهم يشق عليَ مفارقته مدة ذهابكم به إلى أن يرجع ، وذلك لفرط محبته له لما يتوسم فيه من الخير العظيم ؛ ثم يقول : وأخشى أن تنشغلوا عنه برميكم و رعيتكم فيأتيه ذئب فيأكله و أنتم لا تشعرون ، فأخذوا من فمه هذه الكلمة ، و جعلوها عذرهم فيما فعلوه ، و قالوا مجيبين له لئن أكله الذئب إنا لهالكون عاجزون . [51] هي فكرة عرضها عليهم أبوهم كانت تبريرا فيما بعد لفقد يوسف عليه السلام ، وهذا

- طول محمد ، البنية السردية في القصص القرآني ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د.ط ، د.ت ، ص94 . [48]

- سورة يوسف ، الآية 12. [49]

- سورة يوسف ، الآية 14. [50]

- ابن كثير ، تفسير القران العظيم ،ج2 ، ص693. [51]

الشطر من الحوار بيّن لنا القرار النهائي الذي اتّخذه الإخوة حول تغييب يوسف عليه السلام و إعلان أبوه عن خوفه لفتك الذئب له .

4- حوار يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز:

بعد نجاة سيدنا يوسف عليه السلام ؛ و محنة أخرى كانت في انتظاره حين بلغ أشدّه ؛ فيوسف شاب في المرحلة المتفجرة من شباب الغريزة

و حيويتها وامرأة العزيز أنثى يحرق مشاعرها و أحاسيسها جمال يوسف عليه السلام الرائع و شبابه المتفجر ،و" الحوار في هذا المشهد يرفع الوجه الناطق الذي يعطي للأفعال و الأحاسيس بعدها التواصلي ." [52] هاهي امرأة العزيز تراوده عن نفسه ، يقول عز وجل : ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ

[52] - حبيب مونسي ، المشهد السردي في القرآن الكريم – قراءة في قصة سيدنا يوسف ،ص74.

كَرِيمٌ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾. [53] فحاولته على نفسه ودعته إليها ، وذلك أنها أحبته حبا شديدا لجماله ، فحملها على ذلك أن تجمَلت له وغلَقت الأبواب و دعته إلى نفسها .[54] ومن المعروف أن الطرف الأنثوي ينجذب لموضوع توقه ورغبته بكل الوسائل " و لو بصورة الاضطهاد أو المشاكلة أو التجني أو القتل، وهذا ما نلاحظه في الحياة بين الطرفين البشريين الذكر والأنثى." [55]

و القصة لم تشر إلى أيَة مبادرة منه، بل كانت المبادرة من امرأة العزيز، وراودته عن نفسه ، وغلَقت الأبواب، وقالت : هَيْتَ لَكَ؛ فقد بدأت بتحضير الجو بكل ما فيه من عناصر الإثارة، وبدأت العرض وكأنَها تنتظر التجاوب السريع ، "و يرى جمهور المفسرين أنها همَت به همَ الفعل وهمَ بها هم النفس ثم تجلى له برهان ربه فترك ." [56] فقد صوَر السياق تلك اللحظة بكل ملابساتها و انفعالاتها ، و طبيعة الحوار تقتضي الكلمة ردا عليها من طرف ثان، وهي في قولها ﴿هَيْتَ لَكَ ﴾ تريد فعلا لا قولا ، فردَ يوسف عليه السلام ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ ، ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ ، ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ ؛ قول واحد صدر دفعة واحدة استدفع بها يوسف عليه السلام هجمات المرأة عليه و "هذا التواصل الحواري

---

[53] - سورة يوسف ، الآيات من 23 الى33 .

[54] - ابن كثير ، تفسير القران العظيم ،ج2 ، ص697.

[55] - محمد طول ، البنية السردية في القصص القرآني ، ص95 .

[56] - أحمد فايز الحمصي ، قصص الرحمان في ظلال القرآن ، مؤسسة الرسالة ،ط1، 1995 ،ج2 ،ص298 .

بين المرأة التي يجرَ خيوط رغبتها شيطان يؤجَج نار شهوتها ؛ و عالم الفتى الذي تحوطه الحكمة و العلم ." [57]

لقد قال بكل هدوء كلمة الإيمان معاذ الله و كلمة الوفاء انه ربي أحسن مثواي ،ولخَص لها بكلمة حاسمة ، إنه لا يفلح الظالمون ، " فهي تظلم نفسها بالمعصية و تظلم زوجها بالخيانة ، أما هو فيتحول إلى ظالم لنفسه ولرب البيت الذي آواه و رعاه . " [58] بعد ذلك تسرَب الخبر و تناقلته الألسن و أصبح حديثا بين نساء المدينة ، يقول تعالى :(وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) . [59]

ولم يكن أمام يوسف إلا الهرب بدينه و إيمانه و خلقه ، وانطلقت وراءه في حركة سريعة ، لترجعه بكل قوة ، حتى تمزَق قميصه من ذلك ، فكانت المفاجأة لها بالمرصاد ، فألفيا سيَدها لدى الباب ، وحاولت أن تبرئ نفسها لتكون في موقف الضحية ، أمام المعتدي فبادرت إلى اقتراح العقاب المناسب له على فعلته ، و تتأزم الأحداث و المصائب على نبي الله واتهامه بالفاحشة بهتانا و زورا ، "فهذه المقاطع الحوارية بين يوسف عليه السلام وامرأة العزيز تدرج لنا الوقائع في صورة حصيلية ، اختزالية ، مكثفة بملابسات الواقعة المحكي عنها ." [60] و هذه اللقطات الحوارية تظهر فضاء إخباري فيه موقف و إشاعة و مزايدة و تكذيب و تصديق .

---

[57] - حبيب مونسي ، المشهد السردي في القرآن الكريم –قراءة في قصة سيدنا يوسف ، ص 62 .

[58] - محمد حسين فضل الله ، الحوار في القرآن –قواعده – أساليبه – معطياته ، ج121 ، ص 115 .

[59] - سورة يوسف ، الآية 30 .

[60] - سليمان عشراتي ، الخطاب القرآني – مقاربة توصيفيه لجمالية السرد الاعجازي ، ص 107 .

بعد ذلك تسرَب الخبر و تناقلته الألسن و أصبح حديثا بين نساء المدينة ، يقول تعالى :(وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [61]

يخبرنا الله تعالى أن خبر يوسف شاع في المدينة حتى تحدَث به الناس و خاصة ساء الأمراء فيقلن أن امرأة العزيز تحاول غلامها عن نفسه و تدعوه إلى نفسها. [62]

لقد قامت هذه المرأة الجريئة في مواجهتها لنساء طبقتها بمكر و دهاء ، فأقامت لهنَ مأدبة في قصرها ؛ و أعدَت لهنَ متكأ و آتت كل واحدة منهن سكينا ، ثم دعت يوسف عليه السلام ليدخل عليهن ، فبهتن لطلعته و قطَعن أيديهن بالسكاكين ؛ يقول تعالى :(فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ) .[63] إن القيمة في هذه المسحة الحوارية هو تجسيد لصورة المؤمن عندما يتعرَض لمواقف تجعله ينحرف عن إيمانه أمام نداء الجنس، فيقف مع إيمانه مهما كانت التضحيات و الآلام ، و رغم أن كلمات الحوار بين يوسف عليه السلام و امرأة العزيز قصيرة جدا إلا انه يلخص الموقف كلَه في الدعوة الصارخة من المرأة و الرفض الحازم من يوسف عليه السلام و هذا يشعر به القارئ فهناك حوار صامت من جهة و حوار طويل متنوع من جهة أخرى تدلَ عليه التجارب الفاشلة التي قامت بها هذه المرأة من

[61] - سورة يوسف ، الآية 30 .

[62] - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج2 ، ص701.

[63] - سورة يوسف ، الآية 31 .

الكلام الكثير الذي دار بينها و بين نساء المدينة يقابله طلب يوسف عليه السلام من الله أن يصرف عنه كيدهن .

5- حوار يوسف عليه السلام مع الفتيان في السجن :

دخل يوسف عليه السلام السجن و اتَخذه وسيلة للدعوة إلى التوحيد و محاربة الشرك لما وهبه الله من علم البصيرة للرؤيا و تأويلها ، يقول عزوجل : ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾. [64] لقد اشتهر يوسف عليه السلام في السجن بالجود و الأمانة ، وصدق الحديث وحسن السمت ، وكثرة العبادة ، ومعرفة التعبير و الإحسان إلى أهل السجن و قالا له السجينان لقد أحببناك حبا زائدا . [65] وإننا نلاحظ في هذا الحوار ، قضية حيوية في مجال الدعوة إلى الله وهي أن هذا الداعية في حال تعرَضه لدخول السجن لا يجعله مجالا للاستسلام إلى الأفكار الذاتية التي يرصد من خلالها آلامه وأحزانه وأشواقه إلى آفاق الحرية و هنا ينشغل عن رسالته التبليغية و يبتعد عن دعوته . و يوسف عليه السلام جعل من السجن مجال حي للدعوة إلى الله لأنه مثل الأرضية الصالحة ، من حيث طبيعة السجن التي تقترب من الإنسان ، في صفاء روحه لاتصاله بالله و إحساسه بوجوده و عظمته ، كذلك نجد أجواء السجن تجعل السجين مستعدا للحوار و الاستماع إلى كثير مما يقال و يلقى عليه لحاجته إلى قضاء الوقت الطويل بأشياء متجددة تشغله وتستوعب فراغه .

---

[64] - سورة يوسف ، الآية 36 .

[65] - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج2 ، ص 703.

و موضوع الحوار الذي دار بين يوسف عليه السلام و الفتيان اللذان دخلا معه السجن هو أنَهما طلبا منه تفسير حلمهما ؛فلم يمتنع بل اعتبرها فرصة جديدة للدعوة ،" فبدأ بالحديث عن نفسه و عن عقيدته انطلاقا من قناعته المرتكزة على الحجة و البرهان "[66] وذلك من خلال إرجاع علمه إلى الله عز وجل يذكرهم بأحوال الأمم التي يتوزعها الإيمان و الكفر و أن عبادة الله الواحد هي الدين القيم ، و انَ هذه الأرباب المعبودة ما هي إلا أسماء سماها البشر و ختم حواره معهم بتفسير و تأويل و نستشهد بقوله تعالى : ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ .[67] أقبل يوسف عليه السلام بالمخاطبة و الدعاء لهما إلى عبادة الله وحده لا شريك له و عند تأويله للرؤيا قل تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام :﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ .[68] وطبيعة الحوار هنا هي إستراتيجية قام بها نبي الله يوسف عليه السلام في التواصل ، بداية بطمأنة الفتيان من خوفهما مؤجلا تأويل الرؤيا إلى آخر الحديث ؛ و هذا حوار انفتاح و تجديد للأفكار.

6- يوسف عليه السلام خارج السجن :

[66] - محمد حسين فضل الله ، الحوار في القرآن – قواعده –أساليبه –معطياته ،ج121،ص120 .

[67] - سورة يوسف ، الآية 38 .

[68] - سورة يوسف ، الآية 41 .

وخرج يوسف من السجن بروح عالية ،مطمئنة ليكمل دعوته و في لقاءه بشخصيات أخرى دارت حوارات مختلفة و متقطعة منها شخصية الملك و امرأة العزيز و نسوة المدينة .

قال تعالى : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .[69] هذه الرؤيا من ملك مصر مما قدَر الله تعالى أنها كانت سببا لخروج يوسف عليه السلام من السجن ، معززا مكرَما ، ذلك أن الملك تعجَب من الرؤيا و ما يكون تفسيرها ، فجمع الكهنة و الحزاة وكبار دولته وقص عليهم ما رأى و سألهم عن تأويلها ، فلم يعرفوا ذلك ، واعتذروا بان أضغاث أحلام

[69] - سورة يوسف ، الآيات من 43 إلى 53 .

؛ فعند ذلك تذكر الذي نجا من الفتيان اللذين كانا في السجن مع يوسف ، فابعثون إلى يوسف الصديق إلى السجن .[70] وهذا مجال حواري دار بين الملك و يوسف عليه السلام حول الرؤيا ، بعد ذلك طلب منه توليه خزائن الدولة من اجل حل المشكلة الاقتصادية التي تنتظر البلاد و كان شرط يوسف عليه السلام هو إظهار براءته الكاملة من قصة امرأة العزيز ونسوتها ،يقول تعالى : (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) .[71] وتم إعلان براءته في حضرة الملك ، و يرفع عنه الاتهام و تعلن امرأة العزيز باعترافها و تبرأ يوسف عليه السلام أمام الملأ ، وبهذا فقد أعجب الملك بشخصية يوسف عليه السلام و حكمته فقرَبه منه ليجعله مستشارا له و تصبح إدارة جهاز الدولة بيده عليه السلام .

ثانيا : بلاغة المشهد .

تعتمد القصة عموما على تصوير الأحداث عن طريق المشاهد و ذلك " بتحريك الشخصيات ، و تفاعلها مع الأحداث باستعمال أدوات فنية بلاغية في وصف الشخصية ، و الظروف المحيطة بها و لمنح القارئ إمكانية الاستنباط أو التخيل الحسي لمشاهد الرواية " .[72]

فالمشهد هو الخاصية الأساسية الذي تعتمده القصة من خلال عرض المناظر و الصور و تفاعل الأحداث لتخلق لنا الفجوات و الفراغات بين المشهد و

---

[70] - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج2 ، ص 706 .

[71] - سورة يوسف ، الآية 50 .

[72] - خالد أحمد أبو جندي ، الجانب الفني في القصة القرآنية ، دار الشهاب للطباعة و النشر ، باتنة – الجزائر، د.ط ،د.ت ، ص243 .

الآخر ، " فالمشهد وحدة يحكمها إطار عام تنتظم فيه العناصر انتظام العناصر التصويرية في اللوحة ." [73] بحيث تشترك بين كل مشهدين أو حلقتين فجوة يملؤها الخيال فيصل المتلقي بخياله و ذلك بإقامة وصلة بين المشهد السابق و المشهد اللاحق،ومن خلال دراستنا لقصة سيدنا يوسف عليه السلام نجدها مقسمة إلى ثمانية و عشرين مشهدا ، تخلّلت هذه المشاهد فجوات و فراغات أعطت جمالا فنيا للقصة و تذوقا خاصا لقارئها و متتبعها؛ من هذه المشاهد الفنية سوف نختار بعضها ومنها :

1- مشهد رؤيا يوسف عليه السلام :

هو مشهد حواري بين يوسف عليه السلام و يعقوب ، و ما فيه من شعور صادق و حب متبادل ، إنه مشهد يقص فيه يوسف عليه السلام رؤياه على أبيه و التي يستبشر له يعقوب خيرا و مستقبل واعدا في انتظار ابنه .

و التعبير الفني في أحسن القصص يعرض علينا صور و مشاهد نكاد نسمع و نرى حركات أفرادها ، لقوة إيحائه و دقة التصوير الفني .

2- مشهد المؤامرة :

عندما كان إخوة يوسف يتآمرون ، أضهر لنا هذا المشهد كيف بدءوا يتناجون فيما بينهم و يخططون لتدبير مكيدة للخلاص منه ، و قد اقتصر السياق في هذا المشهد في ظرف زمني قصير جدا و ترك لنا أن نتصور باقي التفاصيل ، ذلك لتحقيق شساعة مخيلة القارئ فيرسم لهذا المشهد صورته المكتملة ، وقد قاموا بتدبير المكيدة بدافع الغيرة و الحسد ، يقول تعالى :﴿ اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ . [74]

---

[73] - حبيب مونسي ، المشهد السردي في القرآن الكريم – قراءة في قصة سيدنا يوسف ،ص11 .

[74] - سورة يوسف ، الآية 09 .

يقولون هذا الذي يزاحمكم في محبة أبيكم لكم أعدموه من وجه أبيكم ، ليخلوا لكم وحدكم ، إما بان تقتلوه أو تلقوه في أرض من الأراضي تستريحوا منه ، وتكونوا من بعد إعدامه قوما صالحين . [75] بلاغة هذا المشهد الفني التصويري تكمن في كونه لا يرتكز على بعض التفاصيل بل إنه يكتفي بالإشارة إليها بالإشعار الفني تارة ، أو باستعمال الحروف في بعض الأحيان مع مراعاة عنصر التشويق فنجد مثلا في حرف " الفاء " . ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ ﴾ تدل على السرعة و الربط فما إن سمح لهم يعقوب باصطحاب يوسف عليه السلام عجَلوا بأخذه، و حرف " الواو" ﴿وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ ﴾ فهي تدل على المشهد العنيف و الإجرامي الذي ارتكبه الإخوة في حق سيدنا يوسف عليه السلام فتسمح للقارئ بتخيل هذه الأحداث المشوقة العنيفة ليصلوا به إلى الهلاك .

ومن بلاغة المشهد في القصص القرآني تنوع هذه المشاهد مابين الصامتة و الحية ، " فالسرد في القرآن يزاوج بين المشهدية والموقفية ". [76]

معنى ذلك أن الحوار هو دعامة الموقف باعتباره يترجم الحدث مباشرة و هذا ما نلمسه في هذا المشهد (فأشارت إليه) هو إطار مشهدي صامت قائم على رسم إشارة حركية ، لفتا للأنظار و هذه الإشارة يتخيلها المتلقي عندما يرسم المشهد بأكمله و هنا تتحدَد فنية المشهد .

و في قوله تعالى : ﴿وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾. [77]

---

[75] - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج2 ، 692 .

[76] - سليمان عشراتي ، الخطاب القرآني – مقاربة توصيفيه لجمالية السرد الاعجازي ، ص196 .

[77] - سورة يوسف ، الآية 18 .

هذا المشهد الفني يبيّن فيه الله عزّوجل أنّ بني إسرائيل جاءوا بدم كذب فعمدوا إلى ذبح حيوانا و لوّثوا به قميص يوسف عليه السلام ليخدعوا والدهم ، تعبير يوحي لما لقاه يوسف من عناء و ظلم قبل إلقائه في الجب ، كما أنه يظهر المكر و الخديعة و النفاق ، هي صفات ميّزت إخوة يوسف عليه السلام .

و التعبير الفني في هذه المشاهد تجاوز أغلب التفاصيل ، هي مشاهد صامتة تستدرج عن طريق الخيال " و تجاوزت تفاصيل نقل يوسف من الجب إلى بيت العزيز و اكتفى إلى التلميح بها ." [78]

هي تفاصيل يستطيع القارئ أن يستنتجها بخياله وربط المشاهد ببعضها البعض وهنا تكمن بلاغة المشهد.

3 - مشهد مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام :

و نلتقي بيوسف في بيت العزيز و قد غدى شابا مكتملا فيصور المشهد الفني في التعبير حادث مراودة امرأة العزيز له ، وشخّص لنا الحدث

و جسّده في مشهد روائي ينبض بالحركة و الانفعال ، فالقارئ يكاد يرى مشهد المرأة وهي تقوم بهذا الدّور الصاخب ، " و المشهد حين يعرض هذا التحول بواسطة حرف العطف " الواو" ينهي تراخيا زمنيا استغرق فترة طويلة من المعاشرة و القرب ." [79] فقد أغوته و اندفعت إليه بحركة سريعة نكاد نسمعها و نراها وهي تصرخ بذلك ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ و هي تغلق الأبواب ، فالتعبير الفني قد اختصر هذا المشهد الجنسي في أقل عبارة ممكنة ﴿وَرَاوَدَتْهُ﴾ ؛ مشهد يستغرق صفحات متعددة ، غير أن قوة الإيحاء جعلته مشهد ينبض بالحركة و الحيوية " وراودته ، همّت به ،استبقا الباب ، قدّت قميصه ،ألفيا سيّدها لدى الباب " ؛ كلّها مشاهد حركية انفعالية تترك للقارئ فرصة التخييل الحسي و التصوير الفني لاستعراض التفاصيل التي يسكت عنها المشهد .

---

[78] - خالد أحمد أبو جندي ، الجانب الفني في القصة القرآنية ، ص245 .

[79] - حبيب مونسي ، المشهد السردي في القرآن الكريم – قراءة في قصة سيدنا يوسف ، ص62 .

4 - مشهد لقاء يوسف عليه السلام بإخوته :

عندما قدم، إخوة يوسف عليه السلام و هو على خزائن الأرض ، في سنوات الجب يطلبون القمح ؛فطلب منهم أن يحضروا أخاهم الآخر شقيقه – فأحضروه – على كره من أبيهم ، ثمَ وضع صواع الملك في رحل أخيه و أخذه رهينة ، باسم انَه سارق ، ليبقيه عنده ! ثم هاهم إخوة يوسف ينتحون جانبا ليتشاوروا في آمرهم و قد أبى عليهم أن يأخذ احدهم مكانه ، يقول تعالى على لسان أحدهم : ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [80] يخبر تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام أنهم لما يئسوا من تخليص أخيهم بنيامين الذي قد التزموا لأبيهم برده إليه ، وعاهدوه على ذلك ، فامتنع عليهم ذلك " خلصوا " أي : انفردوا عن الناس " نجيا" يتناجون فيما بينهم . [81]

هذا المشهد حيوي حركي يصور لنا تفاصيل هذه اللوحة المشهدية ولا يسكت عن بعض التفاصيل و لكنه يبرز لنا خطوات متواصلة و مباشرة وقد يئسوا بتخليص أخيهم الذي قد التزموا لأبيهم برده إليه ، " وهنا يسدل الستار لنلتقي بهم في مشهد آخر لا في مصر ولا في الطريق ، ولكن أمام أبيهم ، وقد قالوا له بما وصاهم به أخوهم دون أن نسمعهم يقولونه ." [82] وهنا يبرز المشهد الصامت الذي ينتقل بنا إلى مخاطبة والدهم، فقال تعالى : ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .[83] قال محمد ابن إسحاق : لما

---

[80] - سورة يوسف ، الآية 80 .

[81] - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج2 ، ص 715 .

[82] - سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص188 .

[83] - سورة يوسف ، الآية 83 .

جاءوا يعقوب واخبروه بما جرى اتهمهم وظن أنها كفعلتهم بيوسف، ثم ترجى من الله أن يرد عليه أولاده الثلاثة :

يوسف و أخاه بنيامين و روبيل الذي أقام بديار مصر ينتظر أمر الله فيه، إما إن يرضى عنه أبوه، فيأمره بالرجوع، و أما إن يأخذ أخاه خفية .[84]

خاتمة:

فبلاغة الحوار القرآني في تجدد مستمر و بعث متواصل فهاهو ضميرها الديني ووجدانها العربي ينطق بلسان عربي مبين، بل هو من معتقدها، ومن ثم يجد الباحث الدارس عن البلاغة فيه نشوة حين يتعدى للكتابة عنه ببلاغة أدبية راقية؛ حدث هذا بدعوة حرية الفكر، وحرية البحث، فحرية الفكر والنظر تتطلب غزارة معرفة واتساع أفق، وعمق بحث وسلامة منطق ونصوع حجة وإيمان قلب وإنصاف الرأي واستقامة مذهب .

وهكذا سارت القصة بمشاهدها الفعَالة، الهادفة، المسترسلة لتبلغ عقول المتلقين لها على أحسن وجه؛ و تظهر جمالية المشهد القصصي في القرآن الكريم وبلاغته في رسم اللوحات الفنية تعبيرا مباشرا كان أم إيحاءا وهذا هو سحر البيان وجماله .

[84] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ج2 ، ص 71